

على غير معرفة منهم في العادة وبدا أدماج القانون الروماني في القرن الثالث عشر ودام الى آخر القرن السادس عشر فتعدلت به العادات القديمة كل التعديل ولا سيما وقد أضعف سلطة السادة والمديريات التي سكنت عنها القانون الروماني وقوى سلطة الملك وحكامه لان المشرعين قد طبقوا على الملك كل ما كان يعطيه القانون للامبراطور الروماني من الحقوق كما طبقوا على عماله كل ما كان يعطيه القانون الروماني لولاة الرومان وحكامهم وفي قانون الرومان (ان ما يقضى به الامير يكون قانونا نافذا) فاصبحت هذه الحكمة قاعدة الحكومة في فرنسا ثم في المانيا وكانت أساس السلطة المطلقة .

رحلة الى المدينة المنورة

اللقاء

على نحو مائتين وأربعين كيلو مترا من جنوبي دمشق بين نهر الاردن غربا وزمالة العليا في طريق الحج شرقا ونهر الزرقاء شمالا ووادي الموجب جنوبا اقليم واسع خصيب سهلي جبلي اسمه اللقاء طوله من الشمال الى الجنوب ١٨ ساعة للفارس المجرد وعرضه من الغرب الى الشرق ١٦ ساعة او نحو مئة كيلو متر في مئة كيلو متر وهذا الاقليم الذي يبلغ بمساحته ربع جمهورية سويسرا هو اليوم جملة عمل قضاء السلط ما عدا مسيرة ساعتين من الجنوب داخلية في عمل السكر وقد حدد القداماء اقليم اللقاء بأنه بين الشام ووادي القري وقالوا ان فيه مدنا عظمى كثيرة وان قاعدته عمان وقيل ان السلط هي راموت جلعاد احدي مدن الملجاء ومدن اللاويين المذكورة في الكتاب المقدس وربما اشتق اسمها الحاضر الصلت أو السلط من لفظه لاتينية « سالتوس » ومعناها الجبال المشجرة وكانت فيامضى مدينة أسقفية في العهد المسيحي وقد دك المغول قلعتها ثم أعاد بناءها الظاهر بيرس البندقاري .

وموقع السلط على منحدر جبلين متناولين اشبه بمدينة زحلة في لبنان وكانت منذ ثلاثين سنة خالية من الخدائق والبساتين فتوفرت همه اهبا على استثمار

الاشجار والبقول فجاء اكثرها بما عندهم من العيون التي تروي زروع الوادي اما ما كان وراء المدينة من التلعات والاكمام فقد كان حراجا الى عهد قريب وآثار بعض سديانه وملوله ما برحت ماثلة للعيان ولكن القوم قطعوها واستعاضوا عنها بزراعة الكروم التي بعد عنها وزيبها اجل ما تحمله هذه الشجرة المباركة في سورية وقد يكون العنقود الواحد رطلا شاميا واكثره بلا يزر يصدر من زيبه ما تقدر قيمته كل سنة بنحو خمسة عشر الف ليرة وفي جوار السلط قليل من شجر الزيتون سألنا احد شيوخهم عن السبب الذي دعا الى عدم استكثار القوم من غرسه فقال لاننا ذكرنا بغبائرتنا فقد حملنا سعيد باشا شملين احد متصرفي نابلس ايام كان قضاونا تابعا لنابلس على ان نغرس في هذه الاودية التي تراها مئة الف زيتونة فوقع فيا نفسنا ان في الامر دسيسة من الحكومة تريد بها وضع الضرائب العاجشة على املاكنا وتسجيل اراضيها على صورة لانعود معها ملاكها الحقيقيين فصدعنا بالامر في الظاهر وغرسنا الوفا من شجر الزيتون ولكن اتدري كيف تخلصنا منه بعد ؟ كان احدنا ينجي ليل الى غرسة الزيتون فيحركها حتى لا يطلع جذعها وهكذا لم يبق من كل غرسة الساطيون الا ما شاهدته اليوم في جوار القصبه وقليل ما هو قلنا وعجيب تبدل تصورات الناس فرجال الحكومة بالامس كانوا يحملون الناس على زرع الاشجار ويزينون لهم اقتناء الاراضي للزراعة واليوم يطلب الاهلون في هذا القضاء وفي غيره الاراضي الموات ليحيوها ولا يعطون طلبتهم وكذلك الحال في كل مكان نزلناه في طريق يثرب فان الاهلين احسوا بغوائل الارض هكذا رأينا اهل الشراة من عمال الطفيلة ومعان وهكذا سمعنا شكوى اهل السكرك وتبوك ومعدائن صالح اجمع على طلب ذلك الحاضر والبادي والسكن لاجل اقل تنادي في حين ورد في قانون الاراضي ان كل من ينجي ارضا مواتا تبعد عن القرى والدمساكر مقدار ما يسمع الصوت فهي له فاين هذا القانون المسطور من عمل الحكومة اليوم قرأنا سطور المهمة والنشاط في وجوه الساطيين مسلميه ومسيحييه وان كانت القاعدة في سورية كلها ان يكون المسيحيون اكثر نشاطا وتعلما من اخوانهم في

الوطنية . وبلدهم هذا ساعدته الطبيعة فساعدتها آلهة أيضا ودخل في طور العمران ويوشك ان يعد في جملة العظيمة من المدائن والبلدان .

وسكان مدينة السلط اليوم نحو ١٦ الف نسمة يبالغ المسيحيون منهم على اختلاف الطوائف نحو أربعة آلاف ومعظمهم الى اليوم يلبسون زيا كروي أهل حوران وهو كوفية وعقال وعباءة وجزمة حمراء وعادات القوم هنا أشبه بعادات البادية مع انهم حضر . وفي السلط قليل من الصناعة وتجارتها واسعة مع القبائل النازلة في البلقاء والرحالة في تلك الارحاء . وبين عمان على الخط الحجازي والسلط نحو خمسة وعشرين كيلو مترا جعل بعضه من جهة السلط طريقا معيدا ومنى أكمل تسافر العربات والسيارات بين السلط والخط الحديدي في ساعتين وهي الآن أربع ساعات على الدواب واذا تم اتصال السلط بالقدس بطريق مبدء تسير عليها المركبات أيضا تعمّر السلط عمرانها وهي على بعد ٤٠ ميلا الى الشمال الشرقي من بيت المقدس و ٤٠ ميلا الى الجنوب الشرقي من نابلس ونحو ١٨ ميلا شرقي الاردن .

ومن سوء حظ هذا القضاء ان معدن الفوسفات الذي نال امتيازا بعدئذ من جبل السرو في منتصف الطريق بين عمان والسلط المهندس نظيف أفندي الخالدي المقدسي على ان ينشئ فرعاً بالخط الحديدي من السلط الى عمان يتصل بالسكة الحجازية ومرفأ في حيفا — من سوء الحظ ان قد حسبوا نفقاته فوجدوها لا تنفي بها وارداته ولعل الحكومة تتساهل بعض الشيء في شروطها لتقوى عزيمته تلك الشركة على استثمار هذا المعدن من قضاء السلط فيتسنى لها أو لشركة أخرى تعدين سائر المعادن التي حبستها بها القفرة

على نحو ساعة من قصبة السلط منظر من أجل مناظر سورية ونعني به جبل يوشع الواقع على علو ١٠٩٦ مترا عن سطح البحر وهو مشرف على جزء عظيم من فلسطين فيمتد امامك وادي الاردن كأنه بساط ذولوان كثيرة ومن خلال ذلك نهر الاردن تراه كالخية يتلوه حتى يصل الى البحر الميت أو بحيرة لوط . ومن النبي يوشع تشاهد جبل الزيتون في الشمال الغربي ويقابلك جبل عيبيل وجرزيم

ثم جبل الطور وما يناوحه من الجبال المحيطة بحيرة طبرية ومن بيد جبل الشيخ وبه تنتهي هذه المنطرة من الشمال

ويقول العارفون من الافرنج ان الاعتقاد بالنبي يوشع الذي يذبح له البان ويتقربون اليه هو من التقاليد الاسرائيلية القديمة وان بناء قبره برد الرزءا ثلثة سنة . وليوشع مقام أيضا في جبل نابلس قرب قرية حارث وجبل يوشع في البلقاء أشبه يوشع به سى أي ذروة يوشع في قرية بكوز المطلة على بحر مرمرة وخليج القسطنطينية هذا منظره بحري وذلك منظره بري ومن غريب التقاليد ان البدوي يحلف بالله ولكنه لا يحلف بشعيب ومقام شعيب على ساعتين من السلط أيضا .

كانت عمان قسبة البلقاء فانحطت في أواخر القرن الماضي بما تواتر عليها من الزلازل وغارات البادية حتى جلا عنها بيا سكنها الاصليون فانزلت فيها الحكومة منذ ٣٤ سنة ستمائة أسرة من الجركس من عشائر مختلفة هاجروا الى البلاد العثمانية من ولاية كوبان الروسية وأخذوا يردون غارات البادية واعتمدوا في عراهم على مضائهم وشجاعتهم وبنوا على اقاض مدينة ضخمة قرية لهم وساعدتهم مياه نهر الزرقاء فغرسوا الاشجار وانشأوا الحدائق وآتوا بطريقهم المألوفة لهم في الزراعة يبلادهم وقد هلك منهم اناس كثير من الفتن والامراض حتى توطدت اقدامهم واغتنوا واصبحت الحكومة بعد ان كانت تأخذ من عمان مئة ريال في السنة تتقاضى نحو ثلاثة آلاف ليرة ولا تلبث ان تزيد بزيادة عمران عمان واتساع تجارتها على أيدي الشيعطين من النابلسيين والدمشقيين ومعظم تجارة البلقاء في أيديهم اليوم

تقول انها كانت مدينة عظيمة والدليل ان اقاض دار تمثيلها كبيرة جداتكفي لجلوس ثلاثة آلاف نسمة وفي مسرحها ٥٥ صفا على شكل نصف دائرة وفيها آثار قلعة مهمة ومعظم بيوتها بنيت باحجار المدينة القديمة وكذلك قرية رأس عمان الحديثة الواقعة على قيد غلوة من عمان وسكانها جراكسة أيضا .

لاجرم ان الجركس ادخلوا روحا جديدة الى هذا القضاء من التوفر على الزراعة والنشاط المستمر وان الاهلين تعلموا منهم بعض الشيء الان عمال الحكومة أساؤا

الاستعمال فسلبوا ما كان للاهلين من الاراضي والمزارع العامرة ليعطوها للمهاجرين
الجركس والششن والتر كان كما فعلوا بعين صويلح وعيون الحرف قد كانتا مسجلتين
باسم أصحابهما فاعطتهما الحكومة للمهاجرين وذلك لانه كتب للجرا كسة ان
يتولى مأمورية الطابو في هذا القضاء ثلاثة منهم على الولا فكانوا يساعدون اخوانهم
وابناء جلدتهم على سلب الاراضي منهم وتسجيلها باسم المهاجرين وعلى هذه الصورة
أخذ المهاجرون الناعور ووادي السير والزرقاء والرصيفة وغيرها . صبر الناس على
هذا الجور زمنا حتى صحت عزيمة بعض عشيرة الخرشان والجبور على ان يزرعوا
الموقر والعليا والقميرة وهي على نحو ثلاث ساعات من شرقي معان يسير في اراضيها
الراكب عشر ساعات كما ان بعض السلطين يزرعون اليوم في سهل الكبد في الغور
وهذا السهل جيد التربة جدا لاجترفيه ولا مدر ولو أحبت الحكومة احياء الموات
حقيقة لا وعزت للاهلين ان يحياوا أراضي الموقر والعليا كلها فان فيها زهاء الف بئر
معطلة نحيا بعناية قليلة

واعظم عاثر هذا القضاء بنو صخر وهم يتنقلون بين الغور في الشتاء وأراضي
البلقاء العالية في الربيع وفي الصيف يتوفرون على حصاد الاراضي التي لم في جهات
الزيزاء ومادبا وهما مديرتان تابعتان للسلط كما ان عمان مديرية تابعة لها أيضا .
ونفوس قضاء الساط المحررة اليوم ٤٣ الفا ولوا حصي بنو حسن وبنو صخر والبادية
اباغ سكانه مئة الف او يزيدون ولو ارتفع فيه علم الامن كما يحب واعطيت الاراضي
الموات للاهلين وسجلت عليهم بحيث لا ينافعهم فيها منازع لان أكثر المنازعات
تثور على الاراضي بلوغ سكان هذا القضاء نصف مليون نسمة بعد عشر سنين
وأهم العاديات التاريخية في هذا القضاء قصبة مادبا فقد كانت كاحدى
الحرب منذ نحو ثلاثين سنة فهاجر اليها جماعة من مسيحيي السرك اعطتهم
الحكومة اياها خربة فعمروها فما هو الا أن وجدوا فيها آثارا مهمة مثل سوق
طوله ١٤٠ مترا له عمد على الجانبين وبيننا كانوا يحفرون في انقاض الكنيسة
ليقيموا كنيسة جديدة عثروا سنة ١٨٩٧ على قطعة من الفسيفساء في الصحن

قرفعوا عنها المعاول وأزالوا ما كان علق عليها بتوالي الايام من التراب والاحجار
 فاذا هو أثر عظيم من آثاره دما هو مصور (خريطة) فلسطين وما فيها من
 المعاهد المقدسة والكنائس ولو سلمت كلها من معاول الذين حفروها لبلغ ثمنها
 المليونين والثلاثة من الليرات ولكن القطعة الصالحة الباقية منها تدل على تلك
 المدينة القديمة التي تمتعت بها مادبا قديما منذ عهد الاسرائيليين الى المويين الى
 العرب النبطيين الى المسكبيين وكانت في عهدهؤلاء قلعة مهمة واستولى عليها هيركان
 ملك اليهود قبل المسيح وأصبحت على عهد الرومانيين جزءا من نبرا أو العربية
 الصخرية. وآثار الفسيفساء كثيرة في هذه القرية رأينا بعضها في الدور الخاصة
 تلمع فتأخذ بالابصار اما اقراض دورها ومعابدها وأحواض مياهها فحدث عنها
 ولا حرج وقد دخل أهلها في المدينة اليوم بفضل مدرستي الروس واللاتين اللتين
 أنشئتا فيها وليس بين سكانها أناس من المسلمين الا بعض باعة وحراثين
 قال ابن خرداذبة ان ظاهر البلقاء كان كورة من كور دمشق كان جبل العور
 وكورة مآب وكورة جبال وكورة الشراة وكورة نعمان كانت كل منها أقليا برأسه
 قال الشاعر

سلم على دمن أقوت بعمان واستطلق الربيع هل يرجع بتيان

قال ياقوت ان مدينة جرش هي شرقي جبل السواد من أرض البلقاء وعرف
 السواد بانها نواح قرب البلقاء سميت بذلك لسواد حجارتها وفي أرض البلقاء
 عدة بلاد ورد لها ذكر في التاريخ العربي مثل قرية جادبة التي ينسب اليها الجادي
 وهو الزعفران وقرية مؤمنة من المشارف التي كانت بها تطيع السيوف المشرفة والموقر
 الذي كان ينزله يزيد بن عبد الملك قال كثير
 سقى الله حيا بالموقر دارهم الى قسطل البلقاء ذات المحارب

والقسطل نزله الوليد بن يزيد وهو قرب البلقاء وخلفه فيه عمه العباس وكان
 الوليد يستوطن الزيزاء. وفي البلقاء قصر الازرق والغديين قريب من حصن الازرق
 والغديين قيل انه من عمل حوران ومعظم الروايات على انه من عمل البلقاء

العمران والسكة الحجازية

ان كان لدور الاستبداد حسنة فاعظم حسنة سكة حديد الحجاز التي مدت في عهد الخلع وبشزين قرية أحمد عزت باشا العابد وانتهى منها حتى الآن القسم الاعظم من دمشق الى المدينة المنورة وطوله ١٣٠٣ كيلومترا ومن حيفا الى درعا ١٦١ كيلو مترا فانفق عليها فيما بلغنا ثلاثة ملايين ليرة ونصف صرف قسم مهم منها في مدينة دمشق فانفق منه المليون والتجارة والزراعة والعملة وبعض أرباب الصناعات والفنون وافق القسم الاعظم في ثمن أدوات وقاطرات ومركبات وحديد من معامل أوروبا

وما كاد ينتهي الخط الى المدينة حتى نهضت البلاد بعض الشيء ولا سيما دمشق والمدينة وحيفا نهضة اقتصادية لا يستهان بها وحسن حال الناجر والمزارع وسارت الامور الاقتصادية على نسق مرتب معقول فلم يعد في التجارة ذلك الكساد الذي نعهده في دمشق ولا التدهور الذي كان في حيفا ولا الغلاء الفاحش في اسعار المدينة وهكذا انتفعت المحطات على طول الخط من دمشق الى المدينة وعددها ٧٥ محطة ومحطات حيفا ودرعا وعددها ١٥ فاخذت كل محطة بقدر حظها من العمران وانتفع منها في الاكثر ما كان له اثر قديم في الارتقاء

ولو كانت الحكومة تلتفت بعض الالتفات لعمران البلدان لاخذت بايدي كل من يودون انشاء بيوت ودكاكين وخانات وفنادق في المحطات واعطتهم مئات الدونمات بمجملتها حرائق وينون عليها مساكن على شرط ان يعمروها في مدة تعيينها لهم واذا أمكن ان تمنح بعض مجاويهم اعانة مالية قليلة يستعينون بها على التعبير فكيف لاندحش والحالة هذه اذا رأيناها ورأينا عاملها يوقف من ينون المساكن في مثل مدائن صالح وعددها لا يقل عن خمسين محلا بدعوى انه لا يسوغ انشاء مدينة الا بامارة سنية فبلا استصدرت الارادات السنيات في الحث على مثل هذه المشروعات التي لا يتصور انفع منها في البلاد

هكذا فعلت الحكومة مع من يريدون اقامة الدور والخوانيت ولم تقصر في

وضع العقبات في سبيل من يريد غرس أشجار البرتقال لانه ثبت انها تنجود في تربة هذه البلدة الرملية . ولت الادارة تحمل الحكومة على ترغيب الناس في انشاء الدور والحدائق لما في ذلك من الفوائد لعمالها اذ يستغنون باسراتهم عن صرف أوقات الفراغ في المقامرة ومعاقرة الحفرة ويقل عدد من يتعاطونها منهم نعم ان من المحطات ما لا يثبت فيه شيء بحسب الظاهر ولا تملطه السماء الا ساعات غير معلومة في السنة ولا سيما بعد أرض البلقاء وهو اؤها جاف حار محرق وعمرانها متوقف على عمل كثير طويل ومال غزير ليس بقليل فامثال هذه المحطات تترك الآن وينشط كل من يود اعتماد الاراضي الموات قرب المحطات وانشاء دور وحواريات فيها ولو فعلت الحكومة لاستغنت مع الزمن عن حراسة هذا الخط بكتائب من الجنود ترابط على طول السكة واقامة اثنتي عشرة قلعة من الهدية الى المدينة وهي اليوم تجعل في كل قطار يسافر من بعد لواء حوران الى المدينة جملة من الجنود النظامي المسلح لحماية الركاب من عيث البادية اذا حدث حادث لا قدر الله .

فقول عيث البادية ولو عملت الحكومة الفكر منذ اليوم الذي نوت فيه تمديد هذا الخط الحربي الديني التجاري لاوسعت لهم من تلك السهول الحصصية في لواء الكرك ما كانوا الآن استغنوا بزراعته عن شن الغارات وايذاء السابلة طمعاً في اقتناص ما يتبلغون به ولتوفر اعلى تربية مواشيهم وزرعهم كما يتوفر اليوم بنوحسن في قضاء عجلون وبنو صخر في قضاء السلط والحويفات في معان والمجالي والضبور والطراونة في الكرك وغيرهم في غيرها وكل هؤلاء من العرب الرحل يتأنون بقدر ما يدخل النور على اولادهم ويستمرؤن ارباح الزراعة ولماشية ولا شك انهم يعدلون بته عن الغارة كلما أسكنت الاصقاع التي في جوارهم وخف الاعتداء عليهم .

ولسكة الحجاز الفضل الاكبر في تأنيس شارد البدو اذ عرفوا بان قوة الدولة مهمة في كبح جماح كل معتد . وقد أخذت تصدر حاصلاتهم الى الاسواق التجارية الكبرى فكانت الحبوب تكسب في بعض السنين الماضية في جهات لواء الكرك

وحوران فاصبحت اليوم تسافر الى القاصية . وأبواب الشام والحجاز والبحر مفتحة امامها . وهكذا يقال في السمون والحبن والالبان والاصواف التي تحصل من نياقهم ومعزاهم واغنامهم وابقارهم

في لواء الكرك وحده أراض موات تكفي لاعالة كل أهل البادية من العرب خصوصاً وهم الموصوفون بذكاء فطرتهم ومضاء عرائمهم فاذا توفرت لهم الاسباب تحصل الفائدة الاقتصادية والعمرانية المطلوبة من السكة الحجازية فعمل هذه في نقل الانفس والاموال والمتاجر السنة كلها لا كما هي اليوم تشتغل أشهر معدودة من السنة في موسم الحج ثم تبلى بالفتور الا قليلا . وان من عرف ان هذا الخط عمر بالاعانات التي جمعت من أقطار العالم الاسلامي وهمة ضباط العثمانيين وكتائب جنودنا وان مئات هلكوا في سبيل انشائه بحيث لم يكن يمد الكيلومتر الواحد الا على اشلاء بضعة من رجالنا يوافق على تساهل ادارة السكة مع الضباط والجنود والخط خط عسكري

ولقد لاحظنا ان القطار الحجازي يقطع المسافة اليوم بين دمشق والمدينة في ثلاثة ايام بلياليها يقف منها في المحطات الكبرى مثل درعا ومعان وتبوك والمدائن نحو اثنتي عشرة ساعة دع عنك الوقت الذي يصرفه في المحطات الصغرى وان معدل سيره على عشرين كيلو مترا في الساعة فلو تدبرت الادارة في اختصار هذه المدة في الوقوف وحملت قاطراتها على الاسراع قليلا في سيرها وسراها لجاز القطار المسافة بين دمشق والمدينة وبين حيفا والمدينة في يومين وليتبن فتوفر على الناس بعض غناء السفر واذا رأت الادارة انه مما يلائم مصلحتها الاقتصادية تنزيل اسعار الركوب في الدرجة الاولى والثالثة وأجرة الركوب في الثالثة من دمشق الى المدينة أربع ليرات وفي الدرجة الاولى ثمان ليرات فاسقطت منها على الاقل ثلاثين في المئة استغادات فيما نحسب أكثر . وكثر الذاهبون والجاثون وعظمت الفوائد من ذلك فعندها تقصد المدينة أكثر من الآن للزيارة والتجارة ويقصد الحجازيون بلاد الشام ليصطفوا ويتجروا

وليت الحكومة تتساهل في الاعتماد على ابناء البلاد وتختار الجند الذين يحرسون الخط من ابناء حوران مثلاً فهم أقدر على تحمل المشاق من ابن مدن آسيا الصغرى وسورية ومقدونية ونظمتها في التجربة التي جربتها في الطابور الذي افته من الشروق بالاجرة وسسته هجين سوار أي فرسان الهجين والشروق هم سكان شرقي المدينة أي نجد قد ثبت لها ان ابن هذه البلاد انفع في خدمتها اذا شبع من ابن البلاد القاصية والفارس النجدي اليوم يتناول ٤٥٠ قرشا صحيحا في الشهر هو وهجينه نظن وما الجندي يكلف الحكومة أقل من ذلك فضلا عن تعرضه للهلاك من هواء بادية العرب وكذلك يقال لادارة السكة ان تختار عمالها من العارفين لغة البلاد قبل ان يعرفوا التركية لان في ذلك فوائد مهمة للخط نفسه واذا كان لابد من الاستكثار من ابناء آسيا الصغرى وغيرها في جملة عمالها فاعليها الا ان تشترط عليهم تعلم العربية وبذلك تضاعف خدمتها للادارة وللبلاد معا على ان ابن العراق والحزبرة والحجاز أقدر في كل حال على تولي اعمال هذه السكة خصوصا في النصف الاخير منها من جهة المدينة

ولقد لاحظنا على ادارة السكة اهمال عمالها للتنظافة في المركبات ولا سيما في الدرجة الاولى بحيث انها لا تزيد الزاكب فيها راحة الا بكون مقاعدها مفروشة بالحمل (القطيفة) وهي أضيق من مقاعد الدرجة الثالثة ولا يخفى على القارئين بامر السكة الحجازية ان التدخين محظور في القطار في الدرجات الثلاث باوربا دع تعاطي المسكرات وانه ليسونا مارأيانه من ان بعض موظفي الحكومة الذين كانوا آتين من المدينة المنورة يستطيعون في مركبات الدرجة الاولى سفرة الشراب وبتعاطونه مع النقول اللازمة له والاغاني التي يطربون بها كأنهم في حانة أو بيت خاص من غير تكبر يؤذون بذلك جلساءهم ويكونون بعمالهم أعظم عار على المسلمين والاسلام فليت ادارة الشركة تحظر الشراب في القطارات والمحطات على ركبها وعمالها مباشرة وتغرم من يجزأ على خرق حرمة شريعة الاسلام وقانون المدينة الحديثة غرامة ثقيلة تربى كل مقترف لهذه الكبيرة فان كان من عمال الحكومة الا من

عصم الله من يفسدون اخلاق الرعية بما يعودونهم اياه من احتساء كؤوس الراح في
المديريات والاقضية والالوية والولايات فما اخرى الحكومة ان تكسف مفاسدهم
على الاقل عن قصاص البلد الطيب رحمة بالاسانية والاسلام

بعض أعمال الكرك

قال غرس الدين (١) الظاهري واما المملكة الكركية فليست هي من الشام
وهي مملكة بمفردها وتسمى مأب وهي مدينة حصينة معقل من معاقل الاسلام
بها قلعة ليس لها نظير في الاسلام ولا في الكفر تسمى حصن الغراب لم تكن
فتحت عنوة قط واما فتحها المرحوم صلاح الدين يوسف بن أيوب بعد فتح
القدس في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وكانت بيد البرنس ارناط وكان يتعرض الى
حجاج بيت الله الحرام

وقال ان الشوبك كانت مدة بيد الافرنج وهي مضافة الى الكرك وحصينة
أيضا ومسيرة ماملة الكرك من العلى الى زيزة مقدار عشرين يوما بسير الابل
وهي بلاد عدية بها قرى كثيرة ومعاملات والمسلك اليها صعب في منقطعات قليلة
الماء حتى انه اذا وقف أحد على درب من دروبها يمنع مائة فارس اهـ .

بلدان في لواء الكرك طالما سمعنا بهما وهما قصبه الكرك وقصبه السلط
فالاولى كنا نتوهمها أهم مما رأيناها والثانية رأيناها أهم مما سمعنا به من وصفها وهذا
من جملة الاسباب التي تدعو أهالي البلقاء ان يطلبوا الى الحكومة جعل السلط في
التقسيمات الادارية مركز لواء بضم أراضى بني حسن من قضاء عجلون وعمل حوران
اليه وجعل مادبا قضاء وعمان قضاء والزيزاء قضاء وبذلك يتوفر على أهل القاصية
من لواء الكرك العناية الشديد الذي يلاقونه بشد الرحال الى حاضرة اللواء كلما
عرض لهم عمل فقد بلغني ان أكثر الناس يستنكفون من اداء الشهادة اذا طلبوا
اليها من السلط الى الكرك مثلاً وينكرونها ويتحملون الائم في ذلك لان الشاهد

يستحيل عليه ان يضعيع لهضة أيام في الذهاب والاياب ويتكاف مالا طائفة
في السكة الحديدية وأجرة دواب

فاذا اختار ابن السلط مثلا ان يذهب الى الكرك يضطر اما الى المسير ثلاثة
أو أربعة أيام على الدواب ذهابا ومثلها ايابا واما ان يركب دابة ٢٥ كيلومترا
من السلط الى عمان ومن هذه وهي في الكيلومتر ٢٢٢ يركب القطار الحجازي
الى القطرانة وهي في الكيلومتر ٣٢٦ ومنها يركب دابة الى الكرك مسيرة ست
ساعات وهكذا يتكاف من له عمل طفيف في مركز اللواء الى مال جزيل
ووقت طويل .

وانكى من ذلك ان معان وهي في الكيلومتر ٤٨٩ بل ان تبسوك وهي في
الكيلومتر ٦٩٢ بل ان سدائن صالح وهي في الكيلومتر ٩٥٥ اذا اضطر أهلها
الى قصد الكرك يقطعون هذه المساف في السكة الحديدية أو الدواب وكلاهما
شاق يحتاج لوقت ومال فتقسم لواء الكرك الاداري مشوش مضطرب وما احراه
ان يقسم لوائين احدهما مركزه السلط كما تقدم والثاني يجعل مركزه في معان أو
اذرح وهي مدينة متوسطة من اللواء ولكنها اليوم خربة لاسا كن فيها وكانت
من المدن العامرة قبل الاسلام وبعده حتى ان أهلها صالحو في غزوة تبوك على
الجزية فبلغت مائة دينار في كل رجب وذكر المقدسي انها مدينة متطرفة حجازية
شامية وعندهم بردة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعنده وهو مكتوب في اديم
وبذلك يستدل انها كانت عامرة في القرن الخامس للهجرة بل عامرة الى عهد قريب
وكانت هي وما تب مدينتي الشراة

وأرض الشراة من الشوبك الى رأس النقب كما يحددها الاهلون اليوم أي
مسيرة يوم طولاً وعرضها ساعتان وهي الارض المفلوحة مؤلفة من تلعات واودية
وفيها عيون غزيرة لاتقل عن أربعين عينا لا يتابع باكثرها وقسم منها الآن في
عمل قضاء الطفيلة والاخر في قضاء معان وعلى جنوب الشراة بلاد طيء أو جبال
طيء وهي الحد الجنوبي لسورية كما عرفها العرب قال حاتم الطائي وقد أغارت

طلي على ابل للحارث بن عمرو الحفني وقتلوا ابنا له : (١)

الا انني قد هاجني الليلة الذكرو
ولكنني مما اصاب عشيرتي
ليالي نمسي بين جوز ومسطح
فيا ليت خبير الناس حيا وميتا
فان كل شر فالعزاء فاتنا
سقى الله رب الناس سعا ودمنة
بلاد امري لا يعرف الذم بيته
وماذا لك من حب النساء ولا الاشر
وقومي باقران حوالهم الصير
نشاوى لنا من كل سائمة جزر
يقول لنا خيرا ويمضي الذي اشر
على وقعات الدهر من قبلها صبر
جنوب الشراة من ماب الى زغر
لما مشرب الصافي وليس له الكدر

وفي اذرح عين ماء غزيرة فوق اراض واسعة يمكن تشجيرها كلها ولها قلعة
لا تحتاج الا الى رميم خفيف وهي على أربع ساعات الى الغرب الشمالي من معان
وعلى ثلاث ساعات من وادي موسى واقاض دورها وعقودها وعمدها موجودة
لا تحتاج الا الى بنائين فتكون مدينة تامة الادوات في بضعة اسابيع وفيها اليوم
اقاض ثلاثة طواحين

ربما يستهجن بعضهم ان تقترح جعل مركز لواء الكرك في اذرح وهي خراب
وتترك الكرك وهي المشهورة بتاريخها خلقت بما لها من المركز الحصين الواقع على
جبل عال خال من أطرافه لتكون عاصمة كبرى فضلا عن مركز لواء ولكن مرا كز
الحكومات يجب ان تكون في بقعة متوسطة والكرك منحرفة عن طريق السكة
الحديدية ومنحرفة عن نقطة دائرة اللواء وعمراتها القديمة لا يشفع لها ان تكون
الحاكمة على مدائن صالح وهذه من الكرك على زهاء ٦٦٠ كيلومترا بل الاجدر
ان تكون العقبة وتبوك ومدائن صالح كلها لواء خاصا برأسه اذا أرادت الحكومة
تحضير البادية وحكم أهلها على ما يجب

ولعل بعضهم يعترض بقوله ان العمران مستحيل في هذه الاصقاع مادامت

خالية من السكان ولا ماء فيها ولا كلاء، ولكن الحكومة الصالحة تجذب اليها الانفس كما تحمل الاموال وناهيك بان عشيرة الفقرا وهي لا تقل عن ٨٠٠ بيت تنقل بين تبوك ومدائن صالح تسكن في مدة قليلة وذلك لان الاراضي موجودة بكثرة والمياه اذا حفر في الارض ثلاثة أو أربعة أمتار تنبسط حالا والبقاع التي ينزلونها مستعدة كل الاستعداد لزراعة البرتقال والنخل فاذا أخذت الحكومة بأيديهم فذاقوا لذة الكسب يعدلون عن عيش الغزو الذي يسوقهم اليه فقرهم ولا يلبثون ان يصبحوا كسائر العرب الساكنة يدفعون الضرائب ويخدمون في الجندية مثل عامة العثمانيين لانعتقد ان السكرك يتراجع عمرانها اذا نقل منها مركز اللوا لانه بمادهمها من الفتنة الاخيرة فدخرت بحيث لم تعد صالحة لسكنى أهلها ولا موظفها الا بعد بضع سنين على ان الحكومة قد جعلتها نحو عشرين سنة مركز لواء ولم ترمم قلعتها ولا أتمت مكتبها الكبير ولا مسجدتها الجامع فانت الآن اذا دخلتها تنقبض نفسك من بلد ترى الخراب يتحيفه من كل جانب فتشاهد وعينك تدمع خرابا في العقول وخرابا في النبات وخرابا في الجماد ومثل هذا البلد يعمر بالعلم والعرفان أكثر من عمرانه بالسيف والسنان.

تنقبض النفس من السكرك على جمال في طبيعتها وهي تطل من جهاتها الاربع على مناظر لطيفة ومنها البحر الميت ووادي الاردن الى أعالي جبال أريحا وذلك لانها كانت في معظم ادوارها التاريخية ظلمة مظلومة واشتهر أهلها بحب الغارة على عهد الاسرائيليين والموآبيين وحاربها شاول وداود وقاومت قلعتها جورام وملك اليهودية فرجعا عنها مدحورين واضمحل الموآبيون في القرن الثاني قبل المسيح واصبحت السكرك مفتاح تلك البلاد على عهد الصليبيين واستولى عليها رودي شاتليون الذي يسميه مؤرخو العرب البرنس ارناط وذلك لانها حاكمة على طرق قوافل مصر وبلاد العرب القادمة الى سورية ولذلك حاربها صلاح الدين يوسف بن ايوب حربا عوانا وأقام الايوبيون فيها وحصنها ومازال ملوك مصر الشام يحاصرونها ويقتلون وأهلها عليها وآخر اعمال السكركين ذبحهم عسكر ابراهيم باشا المصري

ثم فتنهم الاخيرة المشؤمة وبلغ المسيحيون في الكرك نحو أربعة آلاف نسمة اكثرهم روم وفيهم لاتين وقليل من البرتسانات وفيها مدارس حقيرة لذكورهم وانايتهم ولش كان المسيحيون اليوم على مستوى جيرانهم المسلمين وكانوا نحو ١٥ ألفا قبل الحوادث الاخيرة اراقى بقليل في المدينة فسيكون مستقبل هذه البلاد لهم وناهيك بان تلامذة المكتب الرشدي اليوم وهم زهاء ثلاثين تلميذا كلهم من اولاد المسيحيين واذا كان فيهم التلميذ الواحد أو الاثنان من ابناء المسلمين فيكون كسلانا غير مواظب هذا في مدارس الحكومة فما بالك في المدارس الطائفية المسيحية وتجارة البلد بايدي اناس من أهل دمشق والخليل ولسكنهم فقدوا أموالهم في الفتنة ولم يعوضوا عنها حتى الآن سوى سبعة في المئة مما قدر لهم

ولم تبق الفتن من العاديات القديمة مايدكر في هذه المدينة اللهم الا انقراض دائرة وجميع هذه الديار كانت عامرة وهي اليوم مأوى الغراب والبوم وناهيك بان اللجون الواقعة على ساعتين من الكرك كانت بحسب ما رأينا من انقراض ارتجتها الضخمة من المدن المهمة فاصبحت اليوم والحكومة تسكن فيها طائفة من المهاجرين وتعمر لهم دورا فلا يلبثون ان يرحلوا عنها اذ رأوا ناقص نفوسهم فيها بسبب الماء والهواء وتركوا منازلهم خاوية فانزلتهم الحكومة في بعض انحاء البلقاء وما ندرى كيف انقلبت طبيعة تلك البلاد المأهولة قديما حتى لم تعد المدينة منها تصالح لان تكون مزرعة حقيرة لفساد هوائها ومائها فسبحان القابض الباسط المعمر المدمر

العربية الصخرية

طريق السكرك من القطرانة وطريق وادي موسى من معان يتبددان بتراب كاسي ممزوج بصلصال لاستعداد فيه للزراعة اليوم ولذلك تظنك اذا توسطت تلك السهول وعرضها نحو ثلاث ساعات من الخط الحديد في قفر بلقع حتى اذا انتصف الطريق تتراعى لك بعض عيون وزروع والمسافة بين معان و وادي موسى سبع ساعات لاراكب كما هي بين القطرانة والسكرك . وادي موسى هو

قرية الجبي وعلى نحو ساعة منه بئرا أو العربية الصخرية كما يسميها الافرنج وسميها العرب سلعا والسلع الشقوق في الجبال والغالب ان سلعا قسم من العربية الصخرية وهي عبارة عن جبال (اذا رآها الراي من بعد ظنها متصلة فاذا توسطها رأى كل قطعة منها منفردة بنفسها) وحدثنا من زار خرائب الحجر أو مدائن صالح انها دون خرائب بئرا بمكانها .

وكان ابترا هذه أيام عز طویل على عهد الادوميين والنبطيين العرب وقدماء الرومان والمكايين وامتد حكمها الى دمشق وكان يدها زمام التجارة مدة قرون في هذا الشرق الاقرب ولم تحط الابرقاء مملكة فارس وانبساط ظل سلطان تدمر ولما جاء الاسلام كانت خرائب كما هي اليوم والغالب ان بقايا مجدها أتت عليها الزلازل فدكنها كما دكت غيرها من المصانع والآثار

اذا أشرف الراكب على قرية وادي موسى يرى روح النعيم فيها خصوصا ويكون قد قطع ساعات في صقع أجرد أمرد ليس فيه من الاشجار الا الزعرور ولا من الغلات الا قليل من الخنطة والشعير لكن في وادي موسى حدائق بديعة تسقي من العيون الدافقة عليها من الهضاب المجاورة حتى تخال نفسك لما تراه من بهجة الخضرة انك في صقع عامر زاهر فاذا قصدت الى عاصمة بئرا وتجلت في السيك أي دخلت بين الجبلين المتناولين وكل قطعة منها تبلغ ألوفا من الامتار المربعة علوها من ٣٠ الى ٥٠ متراً وأنت تسير في طريق لا يقل عرضه عن خمسة أذرع ولا يزيد عن عشرة ليس فيه الا الاحجار والحصا أو مسایل ماء لا ينبت فيها الا الرتم والطرفاء تشاهد في الاعالي النواويس والقصور والمسلات مخففة في الصخر وينفج الطريق مسيرة نحو ثلث ساعة وينقسم قسمين قسم ذات اليمين وفيه تمة المدينة والقسم الآخر جبال طبيعية تمتد الى بعيد وتتصل بجبل هارون من أجل المناظر المشرفة على تلك الاودية والجبال

وهنا يتثل أمامك قصر فخم يسميه الناس خزنة فرعون والغالب انه كان معبدا لآيزيس أنشئ على عهد الامبراطور ادر يانوس الذي زار هذه المدينة

سنة ١٣١ وفي واجهة هذا القصر رواق يتقدمه بضعة أعمدة كبرى وفوقها ثلاثة أعمدة أصغر منها وتقوش وتيجان وربما كان يصعد الى العلية بلولب من الصخر بدليل ما يشاهد في الحائط من أثر الأدراج وإذا دخلت هذا الرواق ترى على اليمين قاعة كبرى تلمع أحجارها وتتموج كأنها خرجت الآن من يد نقاشها وفي الجهة اليسرى قاعة مثالا وفي الصدر القاعة الكبرى أو الزدهة المدهشة وكل هذه العمدان والسواري والتيجان والقاعات والرواق محفور في الصخر أو في هذا الجبل قطعة واحدة فكان الحجر كان يصدانعي هذا الهيكل وغيره من الهياكل والنواويس والقصور كالطين يحملون منه ما يشاؤون والذي يزيد في الدهشة ان الحجر أحمر في هذه الجبال أو من نوع الحجر الرملي ولبيكنه بمئاته كالصخر الامم ثم ترى عليه ذاك اللعان فمن موجة حمراء الى أخرى زرقاء الى مثاليها يضاء الى جانبها ذكنا فسبحان من أنشأ هذا الصخر هنا منقطع النظير ورزق بانيه يدا صناعا تتفنن في تقطيعه وتقره بما فاق به البناء في سائر عاديات سورية . فان كانت قلعة بعلبك تتم عن ذوق سليم وعلم واسع في النقش وجرا الاثقال فان هذه العاديات الخالدة الازلية تنادي بلسان حالها هذه عظمة الديان الى جانب عظمة الانسان .

وترى الى جانب الآثار قساطل الفخار في جانب السيك الذي يشبه من بعض جهاته الفج الواقع في شمالي مدخل قرية معلولا في جبل سنير (قلمون) وذلك على علو القائمة استحجرت مع الصخر حتى كأنها بعضه وهناك على بضعة دقائق من خزنة فرعون كان في الغالب مخزن ماء هذه العاصمة برمتها وعلى مقربة من مخزن الماء وهو منقور في الجبل أيضا ملعب التمثيل تفر في الصخر وله ٣٣ ممشى لجلوس المتفرجين ويسع ٣٠٠٠ نسمة وفي هذا الجوار أقدم النواويس وأهمها وبعد ذلك بجي قصر البنات وهو بناء من الحجر رصفت حجارتها كما ترصف الابنية الضخمة من قلاع أبراج وأسوار ونحوها والغالب انه كان للمتأخرين شبه دار للحكومة وهو مما عمر ويل عهد الاسلام وهناك ولا سيما في خربة النصارى آثار بعض اديار يدل اسمها قبرسها على انها من عمل المسيحيين عند ما كانت لهم حكومة هنا على عهد الرومان

واليونان وعلى مقربة من تلك الجبال الشوامخ والمنفراجات والادوية بغض نواويس
وآثار ولكنها دون آثار بتر في المسكنة وفي جبل الصبر املعب أو صورة تمثل
قتالين سفن حربية

ويقول بعض علماء الآثار من الالمان (١) ان معظم القبور التي حفرت على
مثال قبور الحجر يرد عهدها الى الملك اريئاس الرابع أحد ملوك بتر أي ٩ و ٣٠
سنة قبل المسيح وبعده ولبس في وادي موسى أعده من قبل الحكم الروماني عليها
وان مايشاهد من صور أبي الهول وايزيس ورؤوس الحملان يدل على ان هذه
البلاد تأثرت بالمدينة المصرية والمسلتان الموجودتان في النجر تمثلان ربي النبطيين
اللات ودوزارس وانها كانت من كز عبادة النبط قبل العهد اليوناني بستة قرون
على الأقل وان المدينة اليونانية دخلت وادي موسى على عهد البطالسة فاختلط
العصران المصري والسوري وظل القول الفصل فيها للمدينة اليونانية الى عهد اريئاس
الرابع وفي بتر ٨٥١ مصنعا من القبور والمعابد والمذابح

وبالجملة فان من أراد ان يتوسع في درس هذه المدينة الازلية وجب عليه ان
يصرف اياما في خرائبها كما يفعل بعض سياح الافرنج وعلماء الآثار منهم فيقصدونها
يضررون فيها خيامهم ويصرفون في امتاع النظر بها الاسبوع والاسبوعين وعلى من
يحب التوسع في البحث ان يستعين بما كتبه علماء الآثار من المصنفات في وصف
هذه المصانع بالانكليزية والالمانية والافرنسية وغيرها من لغات المدينة الحديثة
في جوار هذه العاديات المدهشة المنبثة بمدينة راقية جدا ينزل نحو الف نسمة
من العرب يأتون اياما قلائل الى الحي او وادي موسى لتعبد زروعهم السقي ثم يشتقون
في الصيف والشتاء في جبال الشراة على ساعتين أو ثلاث أو أربع من بلدهم في
خيام الشعر وهم فرقان تواف الاولى من عرب الشرور وبني عطا والثانية من الهلالات
والعبيدة والعلاياو يغلب عليهم الفقر ومنهم من يزرع في أراضي الحويطات والنعيمات
على مقربة من بلدهم بالحرس وايس فيهم من يقرأ ولا من يكتب وفي وادي موسى

مدير عين حديثا يتبع قضاء عمان كما ان في الشوبك مديراً ويلبس أهل وادي موسى الكوفية والعقال ويسمونه المرير أي المقتول والعبادة وفقطانا مسدولا برون سراويل وفي أرجلهم نعل يعملونه من جلد البعير وينوطون به حبله يدخل منها باهم الرجل تعلق وفي الفاظهم بعض فصيح مثل قولهم سرى لسير الليل وقولهم الهدوم للثياب العتيقة وقولهم الريف الاراضي الخصبة والقابلة للداية وغير ذلك . ويعنون كثيرا بتربية البقر والغنم والماعز ولا ابل عندهم مثل بني حنظل

وما يشكوه أهل معاز يشكوه منه أهل وادي موسى يشكون من ان الاراضي المباحة غير مسجلة باسمائهم وان تشير في التبعات والمواطات تدعي ملكيتها الى حين هذه لم تسجل نفوسها في سجلات الحكومة ولا تدفع الا ما يصيبها من الاموال الاميرية وهي رحالة تضرب في الفجاج الى نجد وابعدهم من نجد ولا تتوفر على زراعة الارض كلها واذا قتل البدوي أحد أهل البلدين يفر فلا يلوي على شيء . واذا قتل الفلاح من أهل معان ووادي موسى رجلا من أولئك البدو تقاضاه الحكومة الدية وتحبسه وترهقه فكان الحكومة لا تقوى الا على كل ضعيف خفيف الحال . سألنا أحد كبار شيوخ وادي موسى هل زرت باعماه مدينة دمشق في حياتك فأجاب اتى لم أزرها أنا ولا أحد من أهل بلدي وأنى لي بزيارتها والطريق عشرة أيام راكب المطايا وفي السكة الحديدية احتاج الى أجرة لم أملكها حياتي فتأمل .

وبعد فان من أجمل المناظر اذا خرجت من السيك أو من الصدفين أي جانبي الجبلين وفارقت تلك القن والقل تقصد الى عين موسى صعدا في هضاب عنقاء شماء وأطلت على تلك المدينة التي يستحيل على أي جيش من جيوش العالم ان يفتحها ويستبيح حمى من فيها اذا أرادت الدفاع تشرف من ورائها على أراض واسعة جدا تظنها بحراً من أشعة الشمس وهي وادي العربية طوله ثلاثة أيام الى الغرب وعرضه الى الشمال أربعة أميال من العقبة الى الغور وفي تربيته حصا وأحجار ورمال وأملاح وينابيع قليلة وبالقرب منها بعض الحضرة كما نجدونها

وهناك بعض الاشجار البرية ويقصد البدو هذا الوادي في الشتاء لانه غور يرعون فيه مواشيهم كما يقصد أهالي الطائفة والسكر والسبط ماجاورهم من الاغوار الى الغرب من ديارهم ويقصدون جهات الشرق في الربيع ويتوسطون في الشتاء والعصيف هذا نموج من عيش أهل الحجر والمدرم البوادي ممن تشهد خيامهم السوداء كما قال ابن معنوق في وصفها

قطع من الليل البهيم على الترى سقطت وفيها أنجم الجوزاء
والتي قالت فيها الشائرة الاعراية يوم زوجت في دمشق واسكنت القصور
والدور من اللبن والحجر
ليت تحقق الارباع فيه أحب الي من قصر منيف
أو كما قال الشاعر

الحسن يظهر في شيتين روثقه بيت من الشعر أو بيت من الشعر
ولقد أحيينا ان نجر به المارة الاولى ففرنا ليلة في أرض ايل على شيخ من عرب
الشرور اسمه محمد ابراهيم وأخرى في بير البيطار على محمد أبي الفرج شيخ بني عطا
وهذان المزلان على مقربة من وادي موسى وكنا بقنا ليلة في الزيزاء عند فوز بن
سظام شيخ مشايخ بني صخر فرأينا العيش البدوي على اختلاف طبقاته ديمقراطيه
وارستقراطيه ونمنا في العراء تحقق علينا الرياح وخرجنا عن ألوف العادات فشربنا
من كؤس شرب بها عشرات قبلنا فلم تفصل كفتاجين القهوة وأكلنا الجريش
بمزوجا باللبن الرائب والمرق عليه رفاق تعلوها قطع اللحم والدهن بدون معلقة ولا
شوكة ولا سكين ولا صفيحة خاصة ولا منديل فواكلناهم وسامناهم وحشدناهم
وحدثونا واستمعنا بعضهم انصرح له أي العيشين أفضل لهم البداوة أم الحضارة
فقلنا له انتم بالنظر لما نشأتم عليه أبقوا على بداوتكم واقربوا من المدينة ما سمحت
لكم نفوسكم ولكن اياكم ان تغفلوا عن تعليم أولادكم لينشأوا نشأة مدنية أكثر
من نشأتكم وعندها اذا أحبوا ان ينقطعوا عن عيش الخلافة يتيسر لهم ذلك .
اني أخاف عليكم أيها العرب اذا عاشتم الحضرة فاكثرت من عشرتهم ان تنسوا

المسكوك العربية ويختلط عليكم أمركم وتضيعون غارتكم السليمة الى ماتن منه حضارتنا من النفاق والكذب والزور والخديعة ولولا الغارات لآثرت ان أعيش في هذه الديارات بين البوادي ولو أشهرا معدودة من السنة « يتبع »

بسم الله الرحمن الرحيم

مصر والمملكة الإسلامية

لعالم جغرافي عربي

من أمهات كتب الجغرافيا العربية القديمة التي أحيها بالطبع دي كوي احد أئمة المشرقيات في الغرب وطبعها مطبعة بريل في لندن من بلاد هولاندة طبعة ثانية سنة ١٩٠٦ كتاب « أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء الشامي المقدسي المعروف بالبشاري ذكر فيه الاقاليم الإسلامية وما فيها من المعاوز والبحار والبحيرات والأنهار و وصف امصارها المشهورة ومدنها المذكورة ومنازلها الملوكة وطرقها المستعملة وعصر العقابر والآلات ومعادن الحمل والتجارات. واختلاف أهل البلدان في كلامهم واصواتهم والستهم وألوانهم ومذاهبهم ومكاييلهم وأوزانهم وتقوهم وصروفهم وصفة طعامهم وشرابهم ونمازهم وميادهم ومعرفة مفاخرهم وعيوبهم وما يحمل من عندهم واليههم وذ كرمواضع الاخطار في المغازات وعدد المنازل في المسافات وذ كرم السباغ والصلاب والرمال والتلال والسهول والجبال والحوابر والساق (٢) والسمن منها والرقاق ومعادن السعة والحصب ومواضع الضيق والجذب وذ كرم المشاهد والمراصد والخصائص والرسوم والممالك والحدود والمصادر والجروم والمخاليف والرموم والطاسيسج والتخوم والصنائع والعلوم والمباحس والمشاجر والمناسك والمشاعر »

قال : « وعلمت انه باب لا بد منه للمسافرين والتجار ولا غنى عنه للصالحين والاختيار اذ هو علم ترغب فيه الملوك والكبراء وتطلبه القضاة والفقهاء وتبجبه العامة والرؤساء ويتنفع به كل مسافر ويحفظ به كل تاجر وما تم لي جمعه الابد جولاني